لانكاشير عن سواها بذلك امتيازاً باهراً لان الفقر منع استعمال البان الحيوانات واجبر الامهات على الارضاع بذواتهن . فعلى غنياتنا ان يتطوعن لهذا الفقر تطوعاً لانه ليس اجمل من الفقر اذا صحبته السلامة والصحة

عودة الى الغنى

لقد اكثرنا في هذه المجلة من ذكر هذا الغنى وحديث هؤلاء الاغنياء وذلك لانه مطمع كل انسان وحديث كل نفس كما انه قد عظم في العهد الاخير حتى صار الافراد يقومون بغناهم مقام الحكومات بالتأكيد دون ادنى مبالغة لان مثل روكفلر الاميركاني الذي يملك على ما يقولون ١٥٠ مليون جنيه انما هو بمقام حكومتنا المصرية لان دخله من ذلك القدر هو بمقدار دخلها تماماً ان لم يكن اكثر كما ان نفقته اقل لانها تنفق تقريباً كل دخلها واما هو فلا . ذلك عدا غيره عشرات ممن اهتم بغناهم رئيس الجمهورية الاميركية المستر روزفلت فقام يحاول مناهضة الثروة وتحديد الغنى من طريق جعل ما يورَّث شيئاً محدوداً وقد كان لذلك جدال في الجرائد طويل ليس هنا مكانه ولكنه مما يدل على وصول الثروة الى ابعد آمادها ويدل على انه لا حد لها مع اطلاق الحرية لكل ملتمس ووجود الاحتكارات بلا قيد ولا تحديد

الا ان من الناس بل الناس كلهم يريدون ان يعرفوا ما هو لذة الغني بغناه وما هي حاجته من الملايين التي لا يستطيع ان يفنيها مهما كرم وبذل

وما هي الحالة التي يشعر بها من فرط ذاك الغنى العظيم لانها اذا كانت على موجب مقداره فمن حقها ان تقتل صاحبها من فرط المسرة كما ان من حق الفقر المدقع ان يقتل صاحبه من فرط الكآبة ولكن لا هذا ولا ذاك يحصلان بل قد يكون المدقع مغتبطاً والموسر معذباً كما اشرنا مرة الى عذاب الاغنياء

ولكن احد الباحثين سأل مرة احد الاغنياء في شأن غناه المفرط فاجابه انكم تعتقدون ان اصحاب الملايين في عذاب وشقاء لان جمع المال يعذبهم والاحتفاظ به يضايقهم واما انا فاقول لك ان الامر على عكس ذلك لانني مسرور مغتبط ولكن سروري ليس من كون المال كثيراً فانني حين كنت مكتفياً بالقليل كنت مسروراً ولكن سروري هو اشتغالي بكثرة هذا المال وغبطتي هي بتدبيره والقيام عليه

ثم سأل ذاك الباحث غنياً آخر فكان جوابه كجواب الاول حتى لقد قال له انه لولا هذا الغنى المفرط لما كانت لي سعادة قط لانني لا اجد تلك السعادة الا بالتعامل بذاك المال الوافر والزيادة عليه وتوقع الخطر منه ولهذا اجد سعادتي تتجدد كلما كسبت شيئاً وادخرته وسعيت في كسب سواه

ثم سأل غيره فاجابه انني سعيد جداً بغناي وذلك لان فرط اشتغالي به لا يمكنني ان اتصور ما هو الشقاء ولا يجعل لي فكراً يجول في غير المال ومتى كنت غير متفرغ للشعور بالشقاء فكيف اكون شقياً ومتى كنت غير شقي كان ذلك هو السعادة

ثم سأل سواه فادعى السعادة ايضاً واسندها الى كثرة العمل والمسرة بمزاولته ونجاح الرأي في تدبيره وظهور الصواب بتوجيهه واستخدامه وحل

المشكلات التي تعترض في سبيله ثم قال انني اسر من جهة اخرى بكوني عاملا غير كسلان لانني اعتبر الشقاء في الكسل والقعود والنظر دون مد اليد كما ان لدي الوفاً من العمال يعولون الوفاً من اولادهم ونسائهم فاذا لم اشتغل لاجلهم امتنع شغلهم وامتنعت سعادتي بنظري اليهم اشقياء

ثم سأل غيره فقال انني نشأت على محبة المال والسعي في ادخاره حتى ادركت منه فوق ما كنت اؤمل ولكنني لما وصلت الى الامل وتجاوزته امتنعت سعادتي من هذا الوجه وحل محلها سعادة تصريف ذلك المال والافتكار في كيفية تدبيره وحفظه وعدم الاخفاق به ولذلك اراه كلما ازداد ازدادت سعادتي على اثره لان اشتغالي يزيد على نسبة زيادته فازداد سروراً وغبطة وانشاساً و نني اذكر لك ان الغنى حين يسرع في المجيء الى انسان لا يترك مجالا للشقاء حتى يدنو اليه بل ترى المال قد حل محل كل شيء والافتكار به قد نفى كل افتكار بسواه ومن رأيي ان السعادة هي عدم الشقاء

ثم سأل سواه فقال له انه قد بلغ الثمانين من العمر وانه اذا وهب خمسة ملايين جنيه دفعة واحدة فلا يتأثر غناه بشيء يذكر ولكنه قال ان همته قد فترت الان الا ان المال مع ذلك لا يزال «يأتيه فيضاً ويتطفل عليه ايضاً» واما السعادة التي كان يجدها في كسبه فقائمة بالعمل والسعي والنجاح في الاراء والابتهاج بمغالبة الخصوم والمزاحمين ورد كل كيد الى كل نحر وحسبك بالنصر لذة وسعادة . ثم سأل امرأة غنية جداً فلم يكن من جوابها الا قولها انه لا سرور لها بغناها الا كونها امرأة وان تحصيلها للمال ونجاحها

فيه مما قد برهن على ان المرأة تستطيع ان تكون غنية كالرجل وان اراءها ناجحة كارائه وكفى بذلك سعادة للمرأة التي يقولون عنها انها لا شيء

هذا مختصر ما ورد من اقوالهم ولعل قول اخيرتهم وهي المرأة يكون افضل قول لانه صادر عن تلقين النفس ووحي الضمير واما اقوالهم عن العمل ولذة النجاح ومغالبة الخصوم فليست الا كعذر الشارب بانه يسر حين يسكر او عذر السارق بانه يسر بالغدر والخديعة وعذر المحارب بانه يسر بالنصر وقتل النفوس مع انهم لو تركوا العمل لكان الترك عملا اذ يتفرقون من بعده لعمل العلم والمطالعة واسعاف الناس والسياحة فيجدون من لذة الاستطلاع والعلم بالمجهولات ما يقوم مقام الف لذة تأتي من وراء مقعد لا يفارقونه ووراء خزانة يجمعون فيها الدينار الى الدينار بين اسباب السقم وموجبات الهرم ولكنهم اذا كانوا مع تلك الحال يقولون انهم سعداء فقد قال قبلهم الجعل انه يتأذى من ريح الورد